المطر الأصفر

صالح العثيمين

من قال صحاري التيه ستَرفضُنا؟
حتّى لو عمرَّناها
أو أسقيناها
تُحرِقُنا . . تمضغنا
هل نحنُ شُجيرات دون جُذُور؟ . .
كلُّ حُبيباتِ الرمل صديقات
نعرِفُها . .
تَعرفُنَا . .
هل نحن جبال وهضاب
وينابيع ، وأشواك
أوديةٌ دون زهور؟ . .
الأمطارُ الحمضيَّة سوف تجفُّ
وتهدأ ريحُ «السَّبع ليالٍ»
ويفورُ «التّنورْ»

● ● ●

كُلّ روضاتي وأعشابي يَبِسَتْ
كيف أُغني
للذي أحْبَبتُهم
وهمـو طللٌ دون شُعورْ . .
تسحق الأمراض قلبي وكياني
ونشيدي ألمٌ
وجراحي نازفات
ليت قلبي
ليته يعرف درباً للعبورْ . .

أحرق الجدبُ بذوري وجذوري
وجحود الزَّمن المرِّ سقاني
من نزيف الغدر هل تُعشب أرض؟
أُحرقت فيها البذورْ . .
إنني أبحثُ عن
أشتات ذاتي
في حَوارٍ رَفضتْ
كلَّ مناخات شجوني وهمومي
رفضتْ كلَّ شعاعٍ كلَّ نورْ
ولقد درتُ مع الشمس لظَنِّي!
أنّ تلك الأرض . .
ـ دُنْيانا ـ . .
مع الشمس تدورْ
المسا إطلالة القلب . .
ونجواه الأماني
وأغانيهِ ـ إذا غنَّى ـ
سبايا . . .
وقُراه النَّائمة الوسّنى مرايا
كم بها ترقص أشباحٌ وتسعى . .
حولها تنهار آلاف الأماني
حولها تنهدُ أحلام الجسور!
قافلتي تحصبها . .
بظلام الفكر، وهونِ المجد
جميع أساطير الأجيال الصفراء

ودوّامات عزيف الجنِّ
وسياق الحرفِ وإملاق العصورْ . .
«وطلاّع الثنايا»
حاملاً سيف المنايا
وقبوراً ساكنات
حولها تندب آلاف القبور . .
وشواهدها مطرقة
تسمع عزف الريح تناجيها
«لقد أسمعت لو . . .»
لو نَطَقَتْ كلُّ شرايين الصخورْ . .
فهل من سامع؟
أو «مسمعٍ مَنْ في القبور» . .
المطر «الأصفرُ» ينقرُ كُلَّ شبابيكي
وحروفي
وجيادي نسيتْ
يا أحبّائي مِثلي كُلَّ أواني العطور
هاجرت تبحث عن أوكارها
مثل موجات الشَّواطيْ
مثل موجات الطيور . .
كلُّ امدائي ـ مغلقة
ألف بابٍ دونها ـ يا أصدقائي ـ
لو علمتم
ألف سور . .

الرياض